تهمة الاعتزال في تفسير ابن عطية الأندلسي

تاريخ استلام المقال: 2016/12/14 تاريخ قبول المقال للنشر 2017/09/28

د.عبد العزيز ناصري أستاذ محاضر "ب" جامعة أدرار

البريد الالكتروني: nasri1406@gmail.com

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على تهمة الاعتزال في تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز)، فقد أثيرت هذه التهمة من طرف علماء لهم باع طويل في العلم؛ فاتهموا ابن عطية الأندلسي بأنه يوالي المعتزلة في عقيدتهم، مع العلم أن هذا العالم من أحسن العلماء الذين أنجبتهم الأندلس، وتفسيره شاهد عليه، وله مؤلفات متعددة، وقد أثنى عليه كثير من العلماء الذين جاءوا بعده وهو من أهل السنة والجماعة، وتفسيره من التفاسير القيمة والتي اعتمد عليها العلماء بعده، فقد استشهد بآرائه القرطبي وأبو حيان وابن جزي الكلبي وغيرهم من العلماء الذين استفادوا منه ونقلوا عنه الكثير، ونحاول في هذه الدراسة التطرق الى التعريف بهذه التهمة، ومن نسبها له، وهل تنطبق عليه أو على تفسيره؟!

كلمات مفتاحية: ابن عطية، العقيدة، الاعتزال.

Abstract

This study aims to shed light on the accusation of being one of al-muʿtazilah for Ibn Attia in his interpretation "al-Muharar al-Wajiz". This accusation has been raised by the scholars who have a long history in knowledge, they accused Ibn Attia al-Andalusy that he agreed the Mu'tazila in their dogma. Knowing that Ibn- Attia is one of the best Andalusian scholars where his interpretation is witnessed about that, he has different writings. He has been praised by many of the scholars who came after him. Ibn Attia is one of the people of the sunnah and the community. His interpretation is a valuable one, where many scholars relied on it like, Cordovan, Abu Hayyan, Ibn Juzayy el-Kalby and other scholars who benefited from him and his views. We tried through this study to address the definition of this accusation and who attributed that to him and whether this accusation is true about him or about his interpretation.

Key words: Ibn Attia, Dogma, Mu'tazila,

مقدمة

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على المصطفى وعلى آله وأصحابه الخلفاء ومن تبع نهجهم واقتفى أما بعد: فخلال دراستي لبعض كتب علوم القرآن لفت انتباهي إلى قضية رأيت أنها جديرة بالدراسة ولفت النظر لها، فقد اتهمَّ شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (مقدمة في أصول التفسير)، والعالمان المالكيان ابن عرفة وابن حجر الهيثمي مفسر وعلامة الأندلس ابن عطية بانتمائه لمذهب الاعتزال وتقرير عقيدتهم في تفسيره (المحرر الوجيز)، ومن خلال هذا البحث الموجز نحاول تسليط الضوء على هذه التهمة من مختلف الجوانب، والقاء نظرة تمهيدية بالتطرق إلى تعريف المعتزلة وأهم مبادئهم والتعريف بابن عطية وعقيدته ومذهبه الفقهي، وإعطاء أمثلة وشواهد متعددة في معالجته لآيات العقائد والأحكام من خلال تفسيره (المحرر الوجيز)، حتى يتضح لنا أهم معالم هذا العالم وهل تنطبق هذه التهمة عليه؟ وهل ينتمي إلى أهل السنة والجماعة، أم غير ذلك؟ وهناك فروق جلية معروفة بين المعتزلة وأهل السنة والجماعة في المعتقدات، ولا يمكن بسهولة تقبل هذه التهمة في عالم له باع طويل في علم التفسير مثل ابن عطية؛ حيث اعترف له بالفضل جل المفسرين والعلماء والمؤرخين عبر العصور، واستفاد من تفسيره عدة علماء جاءوا بعده كالقرطبي وأبو حيان وابن جزي وغيرهم من المفسرين ونقلوا عنه الكثير، وهذا ما نحاول التطرق له بإذن الله في هذه الدراسة الموجزة بحول الله.

أولاً: التعريف بالإمام ابن عطية وتفسيره المحرر الوجيز

1 ـ تعريف ابن عطية:

هو: عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من محارب قيس، الغرناطي، أبو محمد: مفسر فقيه، أندلسي، من أهل غرناطة، ولد سنة 481هـ، وكان من بيت علم وفضل، وأبوه كان من أكبر علماء

غرناطة مما ساعد على نبوغه وتفوقه في العلم، وكان عارف بالأحكام والحديث، وله شعر. ويجمع بين الجهاد والعلم، وولي قضاء المرية، وكان يكثر الغزوات في جيوش الملثمين[1]. وعاش ابن عطية طيلة فترة حكم المرابطين للأندلس حيث امتدت هذه الفترة من مولده إلى وفاته، ومن المعلوم أن المرابطين كانت لهم دولة في المغرب الأقصى وكانت عاصمتها مراكش، وكانت الأندلس حينها تحكم من طرف ملوك الطوائف، بعد انهيار الدولة الأموية، وكانت محطة أنظار الصليبيين لتفككها وصغر حجمها، حيث كانت تزيد على عشرين دويلة متناحرة متنافسة فيما بينها، فاستعانوا بدولة المرابطين لرد هجوم النصارى، ولكن ما لبثوا أن سيطرت هذه الدولة على معظم أراضيهم وسقطت ملوك الطوائف دولة تلو

الأخرى في يد المرابطين بزعامة الفاتح يوسف بن تاشفين[2]، وكان المفسر ابن عطية يشارك في معظم المعارك التي كانت تدور بين المرابطين والنصارى مما أثر على تفسيره خصوصا في آيات الجهاد، وتولى القضاء في دولة المرابطين، وكانت علاقته بها جيدة، وكانت وفاته سنة 541هـ وقيل سنة 546هـ[3].

---

[1] وكانت تلقب بدولة الملثمين لوضعهم اللثام على وجوههم.

[2] يوسف بن تاشفين هو المؤسس الحقيقي لدولة المرابطين، واستمرت في عقبه، حيث بنى مدينة مراكش وجعلها عاصمة له، وهو أول من عبر الساحل وأخذ الأندلس، وكان يلقب بأمير المسلمين ويخطب للخليفة العباسي في بغداد، وأعاد الدعوة العباسية للأندلس بعد انقطاعها لفترة طويلة، ولم تزل الدعوة العباسية وذكر خلفائها على منابر الأندلس والمغرب إلى أن انقطعت بقيام دولة الموحدين التي قضت على المرابطين، واستبدت بالحكم. ينظر: عنان: محمد عبد الله، " **دولة الإسلام في الأندلس**"، ط:4، 1997 م، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج2، ص298، بتصرف.

[3] في معرفة ابن عطية ينظر المصادر التالية: الصفدي: صلاح الدين "**الوافي بالوفيات**"، ت: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ط:1، دار إحياء التراث – بيروت، 2000م، ج18، ص41 ، والغرناطي: لسان الدين ابن الخطيب، " **الإحاطة في أخبار غرناطة**"، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 2004م، ج3، ص412، والمغربي: أبو الحسن على بن موسى، " **المغرب في حلى المغرب**"، ت: شوقي ضيف، دار المعارف – القاهرة، ط: 3، 1955م، ج2، ص117، والضبي: أبو جعفر يحيى، " **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**"، دار الكاتب العربي – القاهرة، 1967م، ص441 ، وابن فرحون: برهان الدين اليعمري، " **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**"، ت: محمد الأحمدي، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، ج2، 57

2 ـ التعريف بتفسيره (المحرر الوجيز):

يعرف تفسير ابن عطية: (بالمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) مع اختلاف بين العلماء في إطلاق هذا الاسم على التفسير، هل هو من صنع المؤلف، أم العلماء الذين جاءوا بعده؟

ولكن التفسير يعرف بهذا الاسم، وجمعه مؤلفه من مصادر متعددة؛ فقد أشار الى هذا في مقدمة تفسيره، وكذلك الدارس للتفسير يدرك هذا، وجمع القاضي ابن عطية بين التفسير بالمأثور والرأي، ففسر فيه القرآن بالقرآن وبالسنة وأقوال الصحابة والتابعين، وكان يتحرى الدقة ومقاصد الآيات القرآنية، وهذه طريقة السلف في تفسير القرآن حيث يفسر بالقرآن والسنة الصحيحة وأقوال الصحابة والتابعين، كما اهتم اهتماماً بالغاً بالقراءات القرآنية واستعان بها في التفسير، بالإضافة إلى اعتماده على الرأي في تفسير آيات القرآن التي لا يجد لها دليلاً، فيجتهد ويعمل رأيه مستعينا باللغة والنحو، ويظهر في تفسيره تمكنه البالغ في اللغة ومكانته العلمية الفائقة، بالإضافة إلى استعمال القواعد الفقهية والأصولية في بيان معاني القرآن، وجاء هذا التفسير متوسط بين التفاسير المطولة والمختصرة كما قصد صاحبه؛ فهو اسم على مسمى (المحرر الوجيز)، وفسر القرآن كاملاً من سورة الفاتحة حتى سورة الناس، وكان أسلوبه سهلاً غير معقد، عكس بعض التفاسير اللغوية كتفسير الزمخشري مثلاً، وغيرها من التفاسير التي تمتاز بأسلوب غامض ومتكلف، ولقي هذا التفسير استحساناً وقبولاً لدى العلماء، فأثنوا عليه وبينوا قيمته، ونذكر على سبيل المثال، المؤرخ ابن بشكوال؛ حيث قال عنه: وكان واسع المعرفة قوي الأدب، متفنناً في العلوم. أخذ الناس عنه[1]. وقال عنه الضبي: فقيه حافظ محدث مشهور أديب نحوي شاعر

[1] ابن بشكوال: أبو القاسم خلف، "**الصلة في تاريخ أئمة الأندلس** "، ت: عزت العطار الحسيني، ط:2، مكتبة الخانجي، 1955م، ص367

بليغ كاتب ألف في التفسير كتاباً ضخماً أرى فيه على كل متقدم[1]. وقال عنه المقري في نفح الطيب: الشيخ الإمام المفسر عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي، فقيه عالم بالتفسير والأحكام والحديث والفقه والنحو واللغة والأدب، حسن التقييد،... وكان غاية في الذكاء والدهاء والتهمّم بالعلم، سريّ الهمّة في اقتناء الكتب،... وألف كتابه الوجيز في التفسير فأحسن فيه وأبدع، وطار بحسن نيّته كلّ مطار[2].

وهكذا ندرك أن ابن عطية كان صاحب مكانة علمية مرموقة أهلته أن يكون إمام عصره في جل العلوم؛ خصوصاً علوم القرآن والقراءات واللغة والتفسير بصفة خاصة، فهذه العبارات والأوصاف والشهادات تدل بلا شك على المرتبة والمنزلة العلمية التي حظي بها، وتقدير العلماء له، واعترافهم بفضله ومكانته العلمية

فيما بينهم، وهذه المكانة الرفيعة قلمَّا تتاح لغيره، وما نالها إلا بفضل علمه ونشاطه وتأليفه وسعة ثقافته، فعَلَا ذكره ورحل الناس إليه من كل قطر.

إلا أن هذا التفسير تعرض لتهمة الاعتزال؛ والتي هي موضوع بحثنا؛ حيث اتهم من طرف علماء كبار بتأييده لمذهب المعتزلة في العقيدة والفكر، وسنتطرق لهذا لاحقاً.

3 ـ عقيدته ومذهبه الفقهي:

لاشك أن الكتب التي ترجمت للمفسر ابن عطية تعطينا لمحة عن عقيدته ومذهبه الفقهي، فقد كان المفسر أشعري العقيدة، وعلى مذهب الإمام مالك في الفقه، وهذا بطبيعة المنطقة حيث أن جل علماء المغرب والأندلس كانوا على عقيدة الأشاعرة ومذهب مالك، وكذلك نلمس هذا في تفسيره لآيات

[1] الضبي: أبو جعفر يحيى، " **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس** "، دار الكاتب العربي – القاهرة، ط: 1967م، ص389

[2] المقري: شهاب الدين التلمساني، " **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**"، ت: إحسان عباس، دار صادر– بيروت، ط: 1، 1997 ،ج2، ص527

الأسماء والصفات وآيات الأحكام في تفسيره؛ وهذا ما ينفي عن المفسر شبهة الاعتزال، حيث أن كل الفرق الإسلامية تحاول تفسير القرآن على ضوء عقيدتها ومبادئها، فمثلاً الزمخشري نجده في تفسيره يقرر عقيدة الاعتزال، وينتصر لها، وهكذا مفسرو الشيعة والإباضية وغيرها من الفرق الضالة، وبالرجوع إلى تفسير العلامة ابن عطية، نجده يقرر عقيدة الاشاعرة في تفسيره، ونعطي مثالاً على ذلك، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾[1] ، توقف في معنى إثبات اليد والعين والوجه لله ـ ﷻ ـ واستشهد بعدة آيات وفسرها، فقال: ثم اختلف العلماء فيما ينبغي أن يعتقد في قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ﴾[2]، وفي قوله: ﴿بِيَدَيَّ﴾[3]، و﴿عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾[4]، و﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[5]، و﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾[6]، و﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾[7]، و﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[8]، و﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[9]، ونحو هذا، فقال فريق من العلماء منهم الشعبي وابن المسيب وسفيان: يؤمن بهذه الأشياء وتقرأ كما نصها الله ولا يعن لتفسيرها ولا يشقق النظر فيها.

قال القاضي أبو محمد: وهذا قول يضطرب لأن القائلين به يجمعون على أنها ليست على ظاهرها في كلام العرب فإذا فعلوا هذا فقد نظروا وصار السكوت عن الأمر بعد هذا مما يوهم العوام ويتيه الجهلة. وقال جمهور الأمة: بل تفسر

---

[1] المائدة: ٦٤

[2] المائدة: ٦٤

[3] ص: ٧٥

[4] يس: ٧١

[5] الفتح: ١٠

[6] طه: ٣٩

[7] القمر: ١٤

[8] الطور: ٤٨

[9] القصص: ٨٨

هذه الأمور على قوانين اللغة ومجاز الاستعارة وغير ذلك من أفانين كلام العرب. فقالوا في العين والأعين إنها عبارة عن العلم والإدراك، كما يقال فلان من فلان بمرأى ومسمع، إذا كان يعنى بأموره وإن كان غائبا عنه، وقالوا في الوجه إنه عبارة عن الذات وصفاتها، وقالوا في اليد واليدين والأيدي إنها تأتي مرة بمعنى القدرة كما تقول العرب لا يد لي بكذا، ومرة بمعنى النعمة كما يقال لفلان عند فلان يد، وتكون بمعنى الملك كما يقال يد فلان على أرضه، وهذه المعاني إذا وردت عن الله تبارك وتعالى عبر عنها باليد أو الأيدي أو اليدين استعمالا لفصاحة العرب ولما في ذلك من الإيجاز، وهذا مذهب أبي المعالي والحداق، وقال قوم من العلماء منهم القاضي ابن الطيب: هذه كلها صفات زائدة على الذات ثابتة لله دون أن يكون في ذلك تشبيه ولا تحديد، وذكر هذا الطبري وغيره، وقال ابن عباس في هذه الآية، يَداهُ نعمتاه، ثم اختلفت عبارة الناس في تعيين النعمتين فقيل نعمة الدنيا ونعمة الآخرة، وقيل النعمة الظاهرة والنعمة الباطنة، وقيل نعمة المطر ونعمة النبات. قال القاضي أبو محمد: والظاهر أن قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[1]، عبارة عن إنعامه على الجملة وعبر عنه بيدين جرياً على طريقة العرب في قولهم فلان ينفق بكلتا يديه[2].

وعلى هذا نستنتج أن العلامة ابن عطية يقرر العقيدة الأشعرية في تفسيره، فهو: يؤول آيات الأسماء والصفات ولا يأخذها على ظاهرها؛ خلافاً لمذهب السلف.

أما عن مذهبه الفقهي فقد عده ابن فرحون في الديباج من أعيان فقهاء مالك في الأندلس وترجم له[3]، وبالرجوع إلى تفسيره نجده يكثر الاستشهاد بآراء

---

[1] المائدة: ٦٤

[2] ابن عطية: أبو محمد الأندلسي، " **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** "، ت: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط:1، 2002م،ج2، ص216

[3] ينظر: ابن فرحون: برهان الدين اليعمري، " **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**"، مصدر سابق، ج2، 57

الإمام مالك ويثني عليه؛ بالإضافة إلى ذكر آراء العلماء المعتمدين في المذهب كابن القاسم وسحنون... ومن ذلك قوله عند مسألة قول: (آمين في سورة الفاتحة)، قال ابن عطية: وقال مالك في المدونة: «لا يقول الإمام (آمين) ولكن يقولها من خلفه ويخفون، ويقولها الفذ.وقد روي عن مالك ـ رضي الله عنه ـ: أن الإمام يقولها أسرّ أم جهر[1].

ثانياً: نصوص العلماء الذين اتهموا ابن عطية بالاعتزال

1 ـ تعريف المعتزلة:

هي فرقة كلامية إسلامية، ظهرت في أول القرن الثاني الهجري، وبلغت شأوها في العصر العباسي الأول، ويرجع اسمها إلى اعتزال إمامها واصل بن عطاء[2]، مجلس الحسن البصري الذي كان تلميذ له؛ في مسألة مرتكب الكبيرة، لقول واصل: بأن مرتكب الكبيرة ليس كافراً، ولا مؤمناً، بل هو في منزلة بين المنزلتين، واعتزل مجلس الحسن البصري، ومن هنا قال الحسن البصرى: (اعتزلنا واصل) فصارت علماً على هذا المذهب، ولما اعتزل واصل مجلس الحسن، وجلس عمرو بن عبيد[3] إلى واصل وتبعهما أنصارهما قيل لهم "معتزلة" أو "معتزلون"، وهذه الفرقة تعتد بالعقل وتغلو فيه وتقدمه على النقل، وتتكلم في مسائل كثيرة كالقضاء والقدر وغيرهما، ثم ما لبث أن استقر مذهبهم على أصول خمسة يدور عليها، وهى: العدل والتوحيد، والمنزلة بين المنزلين، والوعد

---

[1] ابن عطية: أبو محمد الأندلسي، " **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** "، مصدر سابق،ج1، ص 79

[2] وهو: واصل بن عطاء الغزال، شيخ المعتزلة، وأول من أظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين، ولد بالمدينة سنة 80هـ وتوفي سنة131هـ، وإليه تنسب الواصلية من المعتزلة. تنظر ترجمته في: الذهبي: شمس الدين بن قَايْماز، "**ميزان الاعتدال في نقد الرجال**"، ت: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط:1، 1963 م، ج4، ص 329، و ابن حجر: أبو الفضل أحمد العسقلاني، " **لسان الميزان**"، ت: دائرة المعرف النظامية – الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، ط:2، 1971م، ج6، ص214

[3] هو عمرو بن عبيد البصري التميمي بالولاء قال عنه ابن حبان: "كان من أهل الورع والعبادة إلى أن أحدث ما أحدث واعتزل مجلس الحسن هو وجماعة معه فسموا المعتزلة" مات سنة 143هـ وقيل سنة 144هـ. تنظر ترجمته في: الذهبي: شمس الدين بن قَايْماز، "**ميزان الاعتدال في نقد الرجال**"، مصدر سابق، ج3، ص273، والبغدادي: أبو بكر أحمد الخطيب، " **تاريخ بغداد**"، ت: بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:1، 2002م، ج12، ص187.

والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولهم في هذه الأصول معان عندهم خالفوا فيها موجب الشريعة وجمهور المسلمين[1].

ونعطي لمحة سريعة على الأصول الخمسة عند المعتزلة:

1 ـ التوحيد: وهو عندهم نفي صفات الباري ـ ﷻ ـ ، وإثبات أسماء لا معاني لها كقولهم عالم بلا علم قادر بلا قدرة.

2 ـ العدل: وحقيقته عندهم نفي قدر الله ـ ﷻ ـ ومشيئته النافذة على خلقه، وأن العباد خالقون لأفعالهم، فسموا لذلك مجوس هذه الأمة، وسموا قدرية لنفيهم القدر، وهم يلقبون أنفسهم أهل العدل والتوحيد.

3 ـ إنفاذ الوعيد: وهو أن مرتكب الكبيرة عندهم إذا لم يتب فهو من الخالدين في النار.

4 ـ المنزلة بين المنزلتين: وهو قولهم إن الفاسق في الدنيا لا يسمى مؤمنا ولا كافرا.

5 ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ويكون عندهم بالقلب إن كفى، وباللسان إن لم يكف القلب، وباليد إن لم يغنيا، وبالسيف إن لم تكف اليد، ومنه جواز الخروج على الأئمة والحكام عندهم وقتالهم بالسيف.

وعلى هذه الأصول الخمسة يقوم مذهب الاعتزال، وهم ينقسمون إلى إحدى وعشرين فرقة، وهذه الأصول الخمسة يتفق عليها جميع طوائف المعتزلة على اختلاف بينهم بل لا يعتبر معتزلياً من لم يؤمن بها، ولو ادعى أنه منهم[2].

---

[1] ينظر في تعريف المعتزلة المصادر التالية: الأسفراييني: عبد القاهر البغدادي، " **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية**"، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط:2، 1977، ص15، والشهرستاني: أبو الفتح محمد، " **الملل والنحل**"، ت: محمد سيد كيلاني، مؤسسة الحلبي، 1975م، ط:2، ج1، ص28، والعمراني: أبو الحسين يحيى الشافعي، " **الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار**"، ت: سعود الخلف، ط: 1، 1999م، أضواء السلف، الرياض، ج1، ص69، والعسقلاني: محمد بن أحمد، " **التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع** "، ت: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث – مصر، ص37.

[2] ينظر عن فرقة المعتزلة المصادر التالية: : العمراني: أبو الحسين يحيى الشافعي، " **الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار**"، مصدر سابق، ج1،ص69 ، والأسفراييني: عبد القاهر البغدادي، " **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية**"، مصدر سابق، ص 117، والشهرستاني: أبو الفتح محمد، " **الملل والنحل**"، مصدر سابق، ج1، ص46، وأبو المظفر: طاهر بن محمد، " **التبصير في الدين وتمييز**

ومعلوم أن مذهب أهل السنة والجماعة لا يتفق مع مذهب المعتزلة فى القول بهذه الأصول، والمعتزلة ينكرون الأحاديث الصحيحة إذا عارضت مذهبهم، ويقولون بأن كل محاولاتهم فى التفسير مرادة لله تعالى. كما يعتمدون اعتمادا قويا على اللّغة فى إثبات ما يذهبون إليه من هذه الأصول، وكان منهم عدة علماء نبغوا في علوم اللغة أمثال الزمخشري والرماني والسكاكي والجاحظ وغيرهم، كما يتذرعون بالفروض المجازية إذا بدا لهم ظاهر القرآن غريبا.

وعلى الرغم من اندثار فرقة المعتزلة كاسم مستقل، في عصرنا الحاضر، بعدما كانت فرقة مؤثرة في الدول الإسلامية السابقة خصوصا في العهد العباسي كخلافة المأمون والمعتصم ....، إلا إن كثيراً من أفكارهم ومبادئهم ما زال بعضها موجودا في عصرنا الحاضر فنجدها عند الإباضية والشيعة الاثني عشرية، والزيدية، فأغلب عقيدتهم تتبني على مبادئ المعتزلة[1]، ونجدها أيضا عند بعض المنتسبين لأهل السنة ممن يسمون أنفسهم بالعقلانيين وأصحاب التيار الديني المستنير وغيرهم.

2 ـ نصوص تهمة الاعتزال في تفسير ابن عطية والقائلون بها:

لقد تطرقنا سابقاً إلى تعريف فرقة المعتزلة وأهم مبادئهم والأصول التي تقوم عليها، وتختلف عن أهل السنة والجماعة في أمور كثيرة، ولها مناظرات عديدة بينهم على مر العصور، وكانت هذه العقيدة تفرض بالقوة على العلماء والعامة في العصور السابقة حيث امتحن الإمام أحمد في هذه الفتنة في عصر

الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين"، ت: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب – لبنان، ط: 1، 1983م، ص40، والرازي: فخر الدين، "**اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**"، ت: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية – بيروت، ص38، بتصرف.

[1] يقال أن علماء الإباضية والشيعة الأوائل تتلمذوا للمعتزلة، فنجدهم متأثرين بهم في العقيدة، ينظر: الرومي: فهد بن عبد الرحمن، "**اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**"، دار البحوث العلمية والافتاء، السعودية، ط:1، 1986م، ج1، ص47، وص195، وص 350. حيث قام الدكتور فهد بدراسة العقيدة من خلال تفاسير الإباضية والشيعة، ومن أراد التوضيح؛ يراجع عقيدة الإباضية والشيعة ويقارنها بعقيدة المعتزلة، ويرى أوجه الاتفاق الكثيرة بينهم في العقيدة.

الخليفة المأمون العباسي، ولها تفاسير معتمدة كتفسير الزمخشري والقاضي عبد الجبار وغيرها، انتصاراً لمذهبهم، وأولوا فيها آيات القرآن تأويلاً يتفق مع عقيدتهم، ومفسرنا ابن عطية لم يسلم من هذه التهمة؛ حيث اتهم من طرف عالمين كبيرين بميله للاعتزال، ونحاول التطرق إلى هذه المسألة بشيء من التفصيل، لأنها موضوع بحثنا، ومن هؤلاء العلماء:

1 ـ ابن تيمية: نجده في كتابه (مقدمه في أصول التفسير)، عند معرض حديثه عن الاختلاف في التفسير، يقول: وتفسير ابن عطية وأمثاله أتبع للسنة والجماعة وأسلم من البدعة من تفسير الزمخشري، ولو ذكر كلام السلف الموجود في التفاسير المأثورة عنهم على وجهه لكان أحسن وأجمل، فإنه كثيراً ما ينقل من تفسير محمد بن جرير الطبري، وهو من أجل التفاسير وأعظمها قدرا، ثم إنه يدع ما نقله ابن جرير عن السلف لا يحكيه بحال، ويذكر ما يزعم أنه قول المحققين، وإنما يعني بهم طائفة من أهل الكلام الذين قرروا أصولهم بطرق من جنس ما قررت به المعتزلة أصولهم، وإن كانوا أقرب إلى السنة من المعتزلة، لكن ينبغي أن يعطى كل ذي حق حقه، ويعرف أن هذا من جملة التفسير على المذهب. فإن الصحابة والتابعين والأئمة إذا كان لهم في تفسير الآية قول، وجاء قوم فسروا الآية بقول آخر لأجل مذهب اعتقدوه، وذلك المذهب ليس من مذاهب الصحابة والتابعين لهم بإحسان صاروا مشاركين للمعتزلة وغيرهم من أهل البدع في مثل هذا[1]. وقال في كتابه (مجموع الفتاوى) ما نصه: وتفسير ابن عطية خير من تفسير الزمخشري وأصح نقلاً وبحثاً وأبعد عن البدع وإن اشتمل على بعضها بل هو خير منه بكثير بل لعله أرجح هذه التفاسير لكن تفسير ابن جرير أصح من هذه كلها[2].

---

[1] ابن تيمية: تقي الدين الحراني الحنبلي، " **مقدمة في أصول التفسير**"، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط: 1980م، ص38

[2] ابن تيمية: تقي الدين الحراني الحنبلي، " **مجموع الفتاوى**"، ت: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1995م، ج13، ص388

نلاحظ من كلام ابن تيمية أنه يثني على تفسير ابن عطية ويفضله على الزمخشري المعتزلي؛ وهذا لأن ابن عطية مشهور أنه من أهل السنة والجماعة عكس الزمخشري المعتزلي هذا من جهة، ولتفوق الرجلان وتمكنهما في اللغة والنحو والاعراب والصرف والبيان وغيرها من العلوم اللغوية والتي يستعان بها في معرفة كتاب الله وتفسيره، ـ لأن غير المتمكن في العربية لا يستطيع تفسير القرآن الكريم ـ، مع العلم أن ابن عطية ـ كما تطرقنا سابقاً ـ كان أشعري العقيدة وهذا ما يتنافى مع ابن تيمية المشهور بميله للعقيدة السلفية، وحمله على الأشاعرة، وهذا في نظري هو أهم الأسباب التي جعلته ينتقد تفسير ابن عطية ويصفه بالمبتدع والقريب من المعتزلة، مع تأكيده بأفضليته على الزمخشري ـ والله أعلم ..

2 ـ ابن حجر الهيثمي: انتقد هذا العالم تفسير ابن عطية ونسبه إلى المعتزلة واستشهد بكلام ابن عرفة المالكي، فقد جاء في (الفتاوى الحديثية) ما نصه: سئل ابن حجر هل في تفسير ابن عطية اعتزال؟ قال: نعم فيه شيء كثير حتى قال الإمام المحقق ابن عرفة المالكي: يخشى على المبتدئ منه أكثر مما يخاف على الزمخشري، فالزمخشري لما علمت الناسُ منه أنه مبتدع تخوَّفوا منه، واشتهر أمره بين الناس أن فيه من الاعتزال المخالف للصواب، وأكثر من تبديعه وتضلليه وتقبيحه وتجهيله، وابن عطية سني، لكن لا يزال يُدخِل من كلام بعض المعتزلة ما هو من اعتزاله في التفسير، ثم يقره وينبه عليه ويُعتقد أنه من أهل السنة، وأن ما ذكره من مذهبهم الجاري على أصولهم، وليس الأمر كذلك، فكان ضرر تفسير ابن عطية أشد وأعظم على الناس من ضرر الكشاف[1].

[1] الهيثمي: ابن حجر شهاب الدين، " **الفتاوى الحديثية**"، دار الفكر، ص172، وينظر: الهروي: أبو الحسن نور الدين، " **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح** "، دار الفكر، بيروت – لبنان، ط:1، 2002م، كتاب العلم، ج1، ص309، ر234، فقد توقف عند هذا الحديث:

نلاحظ من كلام ابن حجر الهيثمي أنه يرى أن تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز) أخطر من تفسير (الكشاف) في نظره؛ لأن الزمخشري معروف بعقيدته ونصرته لمذهب الاعتزال، أما ابن عطية فيظنه الكثير من القراء أنه من أهل السنة والجماعة، لكنه يدس عقيدة الاعتزال بطريقة غير مباشرة ويقررها في تفسيره.

ثالثاً: مناقشة تهمة الاعتزال في المحرر الوجيز

لقد تطرقنا سابقا إلى معرفة ابن عطية وتفسيره وعقيدته ومذهبه الفقهي، وأنه من أجلِّ علماء الأندلس وأفقهم في التفسير واللغة وغيرها من العلوم، وتفسيره من أحسن التفاسير الأندلسية التي وصلت لنا، ويمكن أن نرد على هذه التهمة بالنقاط التالية:

1 ـ بشهادة علماء الأندلس وغيرهم من المفسرين الذين جاءوا بعده؛ نجدهم قد استفادوا منه، واعتمدوا عليه وأخذوا منه الكثير، ونذكر على سبيل المثال، أبو حيان في تفسيره (البحر المحيط) يرجح أنه أحسن من تفسير الزمخشري، فقال في مقدمة تفسيره: وكتاب ابن عطية أنقل وأجمع وأخلص، وكتاب الزمخشري ألخص وأغوص[1]. وكذلك نجد القرطبي يستعين بتفسير ابن عطية، ويستشهد بكلامه في التفسير، فمثلاً عند ذكره لمعنى (التنور) في اللغة، قال القرطبي: والتنور: وجه الأرض بالعجمية. قال ابن عطية: فحقيقة العبارة عن هذه الألفاظ أنها في الأصل أعجمية لكن استعملتها العرب وعربتها فهي عربية بهذا الوجه[2]. ونجد العلامة ابن كثير في تفسيره يستشهد بكلام ابن عطية

(من قال في القرآن بغير علم) وشرح رأي الهيثمي في ابن عطية، وينظر: المباركفوري: أبو العلا محمد، " **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**"، دار الكتب العلمية – بيروت، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، ج8، ص224

[1] أبو حيان: محمد أثير الدين الأندلسي،" **البحر المحيط في التفسير** "، ت: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ج1، ص21

[2] القرطبي: أبو عبد الله محمد الأنصاري، " **الجامع لأحكام القرآن** "، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط:2، 1964م، ج1، ص68

ويرجحه، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ﴾[1]، قال: الباء سببية، أي: فما كانوا ليؤمنوا بما جاءتهم به الرسل بسبب تكذيبهم بالحق أول ما ورد عليهم. حكاه ابن عطية ـ رحمه الله ـ وهو متجه حسن[2]. والأمثلة كثيرة على استشهاد جملة من المفسرين بتفسير ابن عطية والرجوع له والاستفادة منه؛ مما يدل على مكانته وقيمته بين تفاسير أهل السنة والجماعة ، ولو كان على عقيدة الاعتزال لنبه هؤلاء العلماء على ذلك كما فعلوا مع تفسير الزمخشري الذين استفادوا منه من ناحية اللغة، وتحفظوا على العقيدة الاعتزالية الموجودة به.

2 ـ من خلال دراستي لتفسير ابن عطية وجدته قد رد في كثير من المواضيع على المعتزلة وفند آرائهم وبين زيفها، ونعطي أمثلة على ذلك، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾[3]، رد على المعتزلة بنص هذه الآية، فقال: واختلف المتأولون في قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾[4]، فقيل هو من قول الكافرين، أي ما مراد الله بهذا المثل الذي يفرق به الناس إلى ضلالة وإلى هدى؟ وقيل بل هو خبر من الله تعالى أنه يضل بالمثل الكفار الذين يعملون به، ويهدي به المؤمنين الذين يعلمون أنه الحق. وفي هذا رد على المعتزلة في قولهم: (إن الله لا يخلق الضلال) ولا خلاف أن قوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾[5] من

---

[1] الأعراف: ١٠١

[2] ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل، "**تفسير القرآن العظيم**"، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط:2، 1999م، ج3، ص452

[3] البقرة: ٢٦

[4] البقرة: ٢٦

[5] البقرة: ٢٦

قول الله تعالى[1]. وعند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٤٩﴾[2]، رد على المعتزلة في مسألة الهداية أنها من الله ـ ﷻ ـ وليس من المخلوق، فقال: ثم أعلم بأنه لو شاء لهدى العالم بأسره... وهذه الآية ترد على المعتزلة في قولهم إن الهداية والإيمان إنما هي من العبد لا من الله[3]. وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾[4]، بين رأي المعتزلة في نفي الرؤية، بنص هذه الآية، وبين أن رأي المعتزلة من الناحية اللغوية في تفسير هذه الآية جائز لغويا، ولكن هناك أدلة قوية عند أهل السنة والجماعة على رؤية الله ـ ﷻ ـ في الآخرة، تنفي رأيهم في هذه المسألة، فقال: وقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾[5]، حمل هذه الآية أهل السنة على أنها متضمنة رؤية المؤمنين لله تعالى، وهي رؤية دون محاذاة ولا تكييف ولا تحديد كما هو معلوم، موجود لا يشبه الموجودات كذلك هو لا يشبه المرئيات في شيء، فإنه ليس كمثله شيء لا إله إلا هو، وروى عبادة بن الصامت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: حدثتكم عن الدجال أنه أعور وأن ربكم ليس بأعور وأنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا[6]، وقال صلى الله عليه وسلم: إنكم ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته[7]، وقال الحسن: تنظرون إلى الله تعالى بلا إحاطة، وأما المعتزلة الذين ينفون رؤية الله تعالى، فذهبوا في هذه الآية إلى أن المعنى إلى رحمة ربها ناظرة أو إلى ثوابه أو ملكه، فقدروا مضافا محذوفا،

---

[1] ابن عطية: أبو محمد الأندلسي، " **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** "، مصدر سابق،ج1، ص112

[2] الأنعام: ١٤٩

[3] ابن عطية: أبو محمد الأندلسي، " **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** "، مصدر سابق، ج2، ص360

[4] القيامة: ٢٢ – ٢٣

[5] القيامة: ٢٣

[6] المقدسي: ضياء الدين،" **الأحاديث المختارة** "، ت: عبد الملك بن دهيش، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط: 3، 2000م، ج8، ص264، ر321، وعلق المحقق: إسناده صحيح

[7] البخاري: محمد بن إسماعيل، "**صحيح البخاري**"، ت: محمد زهير، الناشر: دار طوق النجاة، ط:1، 2002م، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، ج1، ص115،ر554.

وهذا وجه سائغ في العربية كما تقول، فلان ناظر إليك في كذا، أي إلى صنعك في كذا. والرواية إنما تثبتها بأدلة قاطعة غير هذه الآية، فإذاً ثبتت حسن تأويل أهل السنة في هذه الآية وقوي[1]. فهذه أدلة قوية من تفسيره في رده على المعتزلة ومناقشته لها، وهناك أمثلة كثيرة في مواضع عدة من تفسيره، ولا يسعني المقام لذكرها هنا في الرد على المعتزلة وتفنيد آرائهم وبيان بطلانها، مما ينفي عنه هذه التهمة.

3 ـ تبين لي من كلام ابن حجر وابن عرفة أن فيه نوع من المبالغة، وأن ابن تيمية كان أنصف حيث فضله على تفسير الزمخشري المعتزلي، وما كان نقده لابن عطية إلا لعقيدته الأشعرية، ومعروف أن ابن تيمية كان على عقيدة السلف[2]، ولا يرضى بالأشاعرة، مع أنني أميل إلى نسبة الفرقتان إلى أهل السنة والجماعة، وإزالة الخلاف والتوفيق بينهم؛ لأن كليهما على حق، وكل الخلاف والجدل الواقع بينهما، غرضه واحد، وهو تنزيه الله ـ ﷻ ـ عن التشبيه والتجسيم لا غير، والله المستعان.

4 ـ تبين لنا سابقاً في التعريف بابن عطية أنه مالكي المذهب وأشعري العقيدة، وعاش في فترة حكم المرابطين للمغرب العربي والأندلس، وهذا ما ينفي عنه هذه التهمة، والمالكية بوجه عام لا صلة لهم بالفرق الضالة كالمعتزلة والمرجئة والقدرية والشيعة وغيرهم من الفرق المبتدعة، وكل مشايخه وزملائه في عصره لم يكونوا معتزلة، وكان أغلبهم مالكية وعلى عقيدة الأشاعرة.

---

[1] ابن عطية: أبو محمد الأندلسي، " **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** "، مصدر سابق،ج5، ص405

[2] عقيدة أهل السنة والجماعة: هي الهدي الذي كان عليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأصحابُه: علمًا واعتقادًا، وقولاً، وعملاً، وهي السنة التي يجب اتباعها، ويُحمد أهلُها، ويُذمُ من خَالَفها؛ ولهذا قيل: فلان من أهل السنة: أي من أهل الطريقة الصحيحة المستقيمة المحمودة. ينظر: القحطاني: سعيد بن على، "**عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسُنَّة** "، مطبعة سفير، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض، ج2، ص690

5 ـ كان ابن عطية في تفسيره ينتصر لعقيدة الأشاعرة، وهذا ما ينفي عنه هذه التهمة بدليل أنه لا يجوز أن يكون مزدوج العقيدة، فيعمل بعقيدة الأشاعرة والمعتزلة في آن واحد؛ فإما أن يكون معتزلي أو أشعري أو غير ذلك، وهناك فرق بين العقيدتين، ولا يمكن الجمع بينهما، ـ والله أعلم ـ، ونعطي بعض الأمثلة من تفسيره على إقراره لعقيدة الأشاعرة والانتصار لها، حيث كان يؤول آيات الأسماء والصفات ولا يجريها على ظاهرها، ومن ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾[1]، لم يثبت الاستواء لله ـ ﷻ ـ وأوله على عقيدة الأشاعرة، فقال: والقاعدة في هذه الآية ونحوها منع النقلة وحلول الحوادث، ويبقى استواء القدرة والسلطان[2]. وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ ﴾[3]، أول اليد بالنعمة ولم يجريها على ظاهرها، فقال: وقوله تعالى: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ ﴾ الفتح: ١٠، قال جمهور المتأولين: اليد، بمعنى: النعمة، أي نعمة الله في نفس هذه المبايعة لما يستقبل من محاسنها. فَوْقَ أَيْدِيهِمْ التي مدوها لبيعتك. وقال آخرون: يَدُ اللَّهِ هنا، بمعنى: قوة الله فوق قواهم، أي في نصرك ونصرهم، فالآية على هذا تعديد نعمة عليهم مستقبلة مخبر بها، وعلى التأويل الأول تعديد نعمة حاصلة تشرف بها الأمر. قال النقاش يَدُ اللَّهِ في الثواب[4]. وبتأويله لآيات الأسماء والصفات والتزامه بالعقيدة الأشعرية نجد ابن تيمية يتحامل عليه ويمدحه من جهة علمه وفضله وقيمة تفسيره، ويذمه من جهة أخرى حيث قال فيه: و (تفسير ابن عطية) خير من (تفسير الزمخشري)، وأصح نقلا وبحثا، وأبعد من

[1] طه: ٥

[2] ابن عطية: أبو محمد الأندلسي، " **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** "، مصدر سابق، ج1، ص115

[3] الفتح: ١٠

[4] ابن عطية: أبو محمد الأندلسي، " **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** "، مصدر سابق، ج5، ص129

البدع. وإن اشتمل على بعضها، بل هو خير منه بكثير، بل لعله أرجح هذه التفاسير...[1]

6 ـ **رأي الدكتور مساعد الطيار:** سئل الدكتور مساعد الطيار، هل في تفسير ابن عطية اعتزاليات ؟

فأجاب بقوله: لقد أثرت سؤالًا مشكلًا بلا ريب، والأمر يحتاج إلى نظر علمي بلا عاطفة أو تحيُّز مذهبي، وأحب أن أذكر الموضوع في نقاط:

أ ـ إن ابن عرفة الورغمي المالكي وابن حجر الهيتمي أشعريان، وقد اشتد نكيرهما على ابن عطية، وهو أشعري كذلك – رحم الله الجميع – فصار الكلام منصبًّا في هذه المدرسة، وكلامهما – كما تراه – عنيف وقوي على مفسر هذا التفسير، فهما يتهمانه صراحة بالاعتزال، ويحذران منه أشد من تحذيرهما من كشاف الزمخشري .

ب ـ إن كلام ابن تيمية، وهو من رفع لواء الانتصار لمذهب السلف – أدق من كلام ابن عرفة وابن حجر؛ لأنه يصفه بأنه اتبع من قرر أصوله من جنس ما قررت المعتزلة به أصولهم، والذي ظهر لي من خلال قراءة هذا التفسير أن مراد ابن تيمية مسألة تقديم العقل على النقل، وتفصيل هذا الموضوع ليس هذا محله .

ج ـ إن ابن عطية لم يكن معتزليًا البتة، بل هو يقرر المعتقد على مذهب الأشاعرة، وقد تأصل بكتب أبي المعالي الجويني، وأبي الطيب الباقلاني، وغيرهما من متكلمي الأشاعرة، كما ذكر ذلك في كتابه المعنون بـ (فهرست ابن عطية). والدليل على ذلك أني وقفت على أكثر من أربعين موطنًا يرد فيها على المعتزلة صراحة، وكان رده عليهم متنوعًا في مجموعة من عقائدهم..... لذا لا زلت أستغرب كلام هذين العالمين – ابن عرفة وابن

[1] ابن تيمية: تقي الدين الحراني الحنبلي، " **مقدمة في أصول التفسير**"، مصدر سابق، ص53

حجر الهيتمي – لأنهما لا يمكن أن يصدرا مثل هذا القول عن جهل وعدم تحقيق، خصوصًا إذا علمت أن ابن عرفة المالكي قد اعتمد كتاب ابن عطية مصدرًا من مصادره في مجالس التفسير التي كان يعقدها، وقد قرأه – فيما يظهر– قراءة فاحصة، ولم أقف – فيما طُبع من تفسير ابن عرفة – على انتقاده لابن عطية من هذا الجانب .

ومن الأمور المهمة لمن أراد أن يتصدى لبيان ما وقع فيه ابن عطية من موافقة للمعتزلة – إن كان وقع – أن يكون عارفًا بدقائق المذهب الاعتزالي؛ ليظهر له بالموازنة موافقات ابن عطية لهم .

د ـ هناك فائدة زائدة على السؤال، وهي أن تفسير ابن عطية على اسمه (تفسير محرر)، وهو من أصول كتب التفسير المهمة التي يحسن بطالب العلم اقتناؤها والاستفادة منها، وأن لا يدعوه ما يُحكى من مثل هذا الكلام عن ابن عطية أن لا يستفيد منه، بل إن فيه من حسن التعليق على كلام السلف، وتوجيه أقوالهم ما لا تجده في غيره، ولقد ظهر لي أن هذه السمة من السمات البارزة في تفسير ابن عطية[1].

ونستنتج من كلام الدكتور مساعد الطيار إن ابن عرفة وابن حجر الهيثمي وابن عطية من مدرسة الأشاعرة؛ بغض النظر عن هذه التهمة، وكلام ابن تيمية أدق منهما في هذه المسألة، على الرغم من انتمائه لمذهب السلف، ويقرر الدكتور مساعد الطيار أن ابن عطية لم يكن معتزليًا البتة، بل هو يقرر المعتقد على مذهب الأشاعرة، مع تأثره بكتب أبي المعالي الجويني، وأبي الطيب الباقلاني، وغيرهما من متكلمي الأشاعرة، وأنه وقف على أكثر من أربعين موطنًا في تفسيره؛ يرد فيها على المعتزلة صراحة، ولابد من معرفة أصول

[1] ينظر: مقال للدكتور مساعد الطيار على موقعه: http://www.attyyar.net/container.php?fun=artview&id=349 ، بتاريخ: 2013/05/22م.

مذهب الاعتزال حتى يتسنى لنا الحكم على ابن عطية في هذه التهمة، ويثني الدكتور مساعد على تفسير ابن عطية وقيمته العلمية بين التفاسير المعتمدة، ويحسن لطالب العلم اقتناؤه والاستفادة منه، لما فيه من فوائد مهمة قد لا يجدها في تفاسير أخرى.

خاتمة

لقد تبين لي بعد الرجوع إلى تفسير (المحرر الوجيز) لابن عطية، ودراسة أقوال العلماء الذين جاءوا بعده وشهدوا له بالعلم والفضل، واستفادوا من تفسيره ونقلوا عنه الكثير ـ كأبو حيان والقرطبي وابن جزي وابن كثير وغيرهم ـ، ومن خلال الشواهد المتنوعة التي ذكرتها، إن تهمة الاعتزال لا يمكن نسبتها بأي حال من الأحوال إلى هذا العالم علامة الأندلس ابن عطية فهو كما أشرنا سابقاً على عقيدة الأشاعرة ومذهب مالك في الفقه؛ وبالتالي فهو من أهل السنة والجماعة، والتهمة باطلة من عدة وجوه، وبعدة أدلة قد تطرقنا لها في هذا البحث، أما هؤلاء العلماء الذين اتهموا ابن عطية كما أشرنا كشيخ الإسلام ابن تيمية؛ فمن المعلوم تحامل ابن تيمية وكرهه للأشاعرة لأن عقيدته سلفية ـ كما هو معروف ـ أما علماء المالكية كابن عرفة وابن حجر الهيثمي، فلكل عالم هفوة ولا يمكن تنزيه أي عالم مهما كان مبلغه من العلم عن الخطأ؛ لأنه من البشر ويعتريه ما يعتري البشر، وكلٌّ يؤخذ من كلامه ويرد إلا المعصوم، والتهمة مرفوضة في حق علامة الأندلس ابن عطية كما وضحنا ذلك بشواهد وأدلة متعددة والله المستعان.

قائمة المصادر والمراجع:

1 ـ الأسفراييني: عبد القاهر البغدادي، " **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية**"، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط:2، 1977م.

2 ـ البخاري: محمد بن إسماعيل، "**صحيح البخاري**"، ت: محمد زهير، الناشر: دار طوق النجاة، ط:1، 2002م.

3 ـ ابن بشكوال: أبو القاسم خلف، "**الصلة في تاريخ أئمة الأندلس** "، ت: عزت العطار الحسيني، ط:2، مكتبة الخانجي، 1955م.

4 ـ البغدادي: أبو بكر أحمد الخطيب، " **تاريخ بغداد**"، ت: بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:1، 2002م.

5 ـ أ ـ ابن تيمية: تقي الدين الحراني الحنبلي، " **مجموع الفتاوى**"، ت: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1995م .

ب ـ ابن تيمية: تقي الدين الحراني الحنبلي، " **مقدمة في أصول التفسير**"، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط: 1980م.

6 ـ ابن حجر: أبو الفضل أحمد العسقلاني، " **لسان الميزان**"، ت: دائرة المعرف النظامية – الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، ط:2، 1971م.

7 ـ أبو حيان: محمد أثير الدين الأندلسي،" **البحر المحيط في التفسير** "، ت: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، 2000م.

8 ـ الذهبي: شمس الدين بن قَايْماز، "**ميزان الاعتدال في نقد الرجال**"، ت: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط:1، 1963 م.

9 ـ الرازي: فخر الدين، " **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**"، ت: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية – بيروت.

10 ـ الرومي: فهد بن عبد الرحمن، "**اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**"، دار البحوث العلمية والافتاء، السعودية، الطبعة: الأولى 1986م.

11 ـ الشهرستاني: أبو الفتح محمد، " **الملل والنحل**"، ت: محمد سيد كيلاني، مؤسسة الحلبي، 1975م، ط:.2

12 ـ الصفدي: صلاح الدين "**الوافي بالوفيات**"، ت: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ط:1، دار إحياء التراث – بيروت، 2000م.

13 ـ الضبي: أبو جعفر يحيى، " **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**"، دار الكاتب العربي – القاهرة، 1967م.

14 ـ العسقلاني: محمد بن أحمد، " **التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع** "، ت: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث – مصر.

15 ـ ابن عطية: أبو محمد الأندلسي، " **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** "، ت: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط:1، 2002م.

16 ـ العمراني: أبو الحسين يحيى الشافعي، " **الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار**"، ت: سعود الخلف، ط: 1، 1999م، أضواء السلف، الرياض.

17 ـ عنان: محمد عبد الله، " **دولة الإسلام في الأندلس**"، ط:4، 1997 م، مكتبة الخانجي، القاهرة.

18 ـ الغرناطي: لسان الدين ابن الخطيب، " **الإحاطة في أخبار غرناطة**"، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 2004م.

19 ـ ابن فرحون: برهان الدين اليعمري، " **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**"، ت: محمد الأحمدي، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.

20 ـ القحطاني: سعيد بن على، "عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسُّنَّة "، مطبعة سفير، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض.

21 ـ القرطبي: أبو عبد الله محمد الأنصاري، " **الجامع لأحكام القرآن** "، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط:2، 1964 م.

22 ـ ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل، " **تفسير القرآن العظيم**"، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط:2، 1999م.

23 ـ المباركفورى: أبو العلا محمد، " **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**"، دار الكتب العلمية – بيروت

24 ـ أبو المظفر: طاهر بن محمد، " **التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين**"، ت: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب – لبنان، ط: 1، 1983م.

25 ـ المغربي: أبو الحسن على بن موسى، " **المغرب في حلى المغرب**"، ت: شوقي ضيف، دار المعارف – القاهرة، ط: 3، 1955م.

26 ـ المقدسي: ضياء الدين، " **الأحاديث المختارة** "، ت: عبد الملك بن دهيش، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط: 3، 2000م.

27 ـ المقري: شهاب الدين التلمساني، " **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**"، ت: إحسان عباس، دار صادر– بيروت، ط: 1، 1997م .

28 ـ الهروي: أبو الحسن نور الدين، " **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح** "، دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 2002م.

29 ـ الهيثمي: ابن حجر شهاب الدين، " **الفتاوى الحديثية**"، دار الفكر.

30. موقع الدكتور مساعد الطيار: www.attyyar.net